مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 05 السنة 2021 ص 589 - 604

تاريخ الإرسال: 2021/04/19 تاريخ القبول: 2021/05/17
تاريخ النشر: 2021/11/04

أدب الطفل العربي -عقبات ومقترحات-

Arab Child Literature -Obstacles and proposals-

خديجة باللودمو
جامعة تامنغست (الجزائر) k.beladmou@cu-tamanrasset.dz

الملخص:

رغم تأخر نشأة أدب الطفل العربي إلا أنه استطاع أن يبلور صورته ويحجز مكانة بين آداب الأطفال العالمية، ولكن تبقى هناك بعض العقبات التي تعطّل سيره وتشكّل عثرة في طريق تطوّره. هناك عقبات تتعلق أساسا بالوسيط الورقي كعقبة المحتوى وعقبة الوسيط (الكتاب) وعقبة الغاية، فيما تشكل عقبة المد الرقمي في أدب الطفل المعاصر تحديا حقيقيا وجب علينا استيعاب إمكانات هذا الوسيط أولا لنتمكن من تحجيم العقبات الناتجة عنه.

ولعل هدفنا في تناول ها البحث يتمثل أساسا في وقوفنا عند عقبة غياب النقد المتخصص في هذا الأدب وهي التي تمثل أكبر عائق في سبيل قراءة الأعمال الإبداعية المنتجة فيه، فالنقد له دور مفصلي في أي شكل من أشكال الإبداع الإنساني وأي تأخر فيه يؤدي بشكل مباشر لتعثر المسار الإبداعي، ولو أن نقد أدب الطفل العربي وقف مطولا عند الأعمال الصادرة فيه ورقيا لما وجدنا ذات الخلل مع الحامل الرقمي متعدد الإمكانات، وعليه سنخلص إلى جملة نتائج نحاول من خلالها تثمين الموضوع وخلق نوع من المقترحات منى أجل دفعه وضمان حركيته.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الأدب، الكتاب الإلكتروني، الثقافة الرقمية، الفئة العمرية

Abstract:

Despite the delay in the emergence of Arab children's literature, it was able to crystallize its image and reserve a place among international children's literature, but there remain some obstacles that hinder its progress and pose a stumbling block in the way of its development. There are obstacles mainly related to the paper medium, such as the content obstacle, the medium (book), and the goal obstacle, while the digital tide hurdle in contemporary children's literature is a real challenge, and we must first understand the potential of this medium in order to be able to reduce the obstacles resulting from it.

Perhaps our goal in dealing with this research is mainly to stand at the obstacle of the absence of criticism specialized in this literature, which is the biggest obstacle to reading the creative works produced in it. Criticism has a pivotal role in any form of human creativity, and any delay in it leads directly to the stumbling of the path. Creative, and if the criticism of Arab children's literature had stopped at length at the works issued in it on paper, we would not have found the same flaw with the multi-potential digital holder, and accordingly we will conclude with a set of results through which we try to evaluate the topic and create some kind of proposals from me in order to push it and ensure its mobility.

Keywords: Child - Literature - E-Book - Digital Culture - Age

---

المؤلف المرسل: خديجة باللودمو، K.BELADMOU@CU-TAMANRASSET.DZ

1.مقدمة:

يكتسي أدب الطفل كجنس أدبي أهمية بالغة في التنشئة السليمة للفرد وبالتالي بناء شخصية معتدلة سوية يمكنها مجابهة الحياة، ورغم هذا الدور المهم

الذي يلعبه إلا أن نشأته تأخرت بالصورة التي نعرفها عليها اليوم، فأدب الطفل الذي شكّلت أغاني تنويم الأطفال وقصص ما قبل النوم شكله الأول تأخر تبلوره كجنس أدبي قائم بذاته له شروطه وركائزه. وستحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الذي يدور حول العقبات التي تواجه أدب الطفل المعاصر، ذلك أن هناك عثرات واضحة لا بد من تجاوزها لينطلق أدب الطفل دون قيود، بعض هذه المشكلات تتعلق بالكتابة للطفل بينما تتعلق أخرى بالوسيط الذي يحمل محتوى المادة الأدبية الموجهة للطفل.

2. تعريف أدب الطفل:

نقف عند ضبط مفهوم أدب الطفل قبل البدء بمشاكله، "تشير معظم كتب تاريخ الأدب في العالم، إلى أن الأدب في العهد القديم وفي معظم بقاع العالم لم يعط أدب الأطفال الاهتمام الكافي، وأن الاهتمام الحقيقي بأدب الأطفال لم يبدأ بشكل واضح إلا في القرنين الماضيين، أي بعد عصر النهضة في أوروبا. أما في ما مضى من عصور تاريخية فقد كانت هناك إشارات مختلفة في أدب الأطفال، تُروى مشافهة، وعلى شكل قصص وحكايات وأساطير، تتناقلها الألسن جيلاً بعد جيل."[1] وقد تأخر ظهوره في العالم العربي وتولّد بعد ذلك بدافع الترجمة فالإبداع، "وبإيجاز شديد–في ضوء ما سبق– يمكن أن نجد لأدب الأطفال–في المرحلة السنية التي يدور حديثنا حولها– مفهومين رئيسيين:

أ–أدب الأطفال بمعناه العام:

وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة...

ب–أدب الأطفال بمعناه الخاص:

وهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية.. سواء أكان شعرا أم نثرا.. وسواء أكان شفويا بالكلام، أو تحريريا بالكتابة..

وعلى هذا فإننا نجد أن (أدب الأطفال) الذي يضم قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيهم وما إلى ذلك.. إنما هو (أدب أطفال بمعناه الخاص).."[2] ، وبين هذين المفهومين لأدب الطفل يجب أن يبدع الكبار لينتجوا نصا يرضي صغارهم ويجمع بين المتعة والفائدة، فكثيرا ما تسقط نصوص أدب الطفل في شراك الوعظ والإرشاد فتغيب الفنية ويخبو الإبداع وهو ما لا يرضي الطفل ويجعله ينفر من الأدب الموجّه له لأنه لا يجد فيه ما يريد، كما أن القصص الكثيرة التي تُكتب للطفل لا تلبي ذائقته في كثير من الأحيان فتجد المكتوب يجتاح الصفحة لتظهر الصور باهتة صغيرة في ركن الصفحة، وهذا راجع بالدرجة الأولى لعدم احترام شروط الكتابة للطفل واستسهالها من طرف راكبي الموجة الذين لا يرون الطفل إلا مصبا لنصائحهم حيث يمكنهم استظهار أفكارهم واستعراض قدراتهم، وكثيرة هي المشاكل التي يتخبط فيها أدب الطفل وهذا راجع لعدة أسباب سأحاول في هذه الدراسة توضيحها، وقد اعتبرتها عقبات لأنها تحول دون ظهور أدب طفل عربي يشاكل ويضاهي نظيره الغربي، ومع الزحف المستمر للرقمية وابتلاعها ليومياتنا وإدمان الأطفال لوسائطها وجب التفكير جديا في النهوض بأدب الطفل عبر الحامل الورقي حتى نضمن استمراريته.

3. عقبات أدب الطفل العربي:

نتحدث عن أدب الطفل العربي بنوع من الحسرة لأن حقوقه هدرت برغم الصور الأولى الناضجة التي تمثلت في الأمهودات التي كانت الأمهات تؤديها لتنويم صغارهن، وحكايات ما قبل النوم التي كانت تسحر الأطفال وتمتعهم. لكن ظهوره الرسمي بالصورة التي نعرّفها به الآن كمادة أدبية موجهة لمرحلة عمرية محدّدة بقالب فني منتقى هو الذي يدفعنا لهذه الحسرة؛ "ولا نبالغ إذا قلنا: إن الاهتمام بأدب الأطفال في الوطن العربي قد دخل الحياة الثقافية العربية من باب التبعية الثقافية

والإعلامية، حين طُرح أدب الأطفال بقوة من مراكز التبعية الغربية، وحين لاحظت النخب الثقافية والسياسية والتربوية العربية أن الغرب والشرق يعنى بمخاطبة الأطفال والناشئة العرب، فينتج لهم أدب الأطفال، وينقله إليهم بوسائط ثقافية متعددة، وعبر وسائل الاتصال بجماهير الأطفال التي تنوعت وزاد تأثيرها بما لم تستطع وسائل القياس أن تحيط به في ظل تردي البحث العربي في أدب الأطفال أيضاً."[3] ولمّا كانت أسباب نشوء هذا الأدب غير منبعثة من حاجة الطفل لهذا الأدب تحديدا، بل تمحورت حول أغراض أخرى متعلقة بالكبار، فقد نتج لدينا أدب يحاول أن يتلمس طريقه بين الأجناس الأدبية الموجّهة للكبار، وسأحصر عقبات هذا الأدب في النقاط التالية:

1.3 عقبة المحتوى:

ماذا يحتاج الطفل أن يعرف من خلال ما يُكتب له، إن أول عقبة في مسار أدب الطفل العربي هو المادة التي نحدثه عنها، ولماذا يُؤخذ الطفل بالقصص العالمية الموجهة للأطفال وقليلة هي الفرص التي ترسخ في ذهنه قصة عربية، هذا يدعونا لإعادة البحث في محتوى القصص والأناشيد الموجهة لأطفالنا، فعدم احترام البيئة التي نشأ فيها الطفل وبالتالي عدم إنتاج أدب يشغله ويرضيه هو الذي دفع بأطفالنا أن ينفروا من النصوص الموجهة خصيصا لهم، والبحث عن متعة القراءة في كتب الكبار.

وإذا تحدثنا عن الثقافة الرقمية السائدة في واقعنا المعيش سندرك كم أن نصوص الأطفال بعيدة عنها، "..إن محتوى أدب الطفل، قد بات على صلة أوثق بخصائص القرن الجديد.. التشابك بين الثقافة والأدب الرقمي والطفل، وخصائص ومعطيات التقنية الرقمية، أفرزا لونا جديدا من الثقافة والأدب للطفل، تمثل في عدة أشكال على الشاشة، منها: شيوع وغلبة الثقافة العلمية وأدب الخيال العلمي للطفل.

كما أن تقنيات الحواسيب أتاحت إنتاج نصوصا رقمية متنوعة تحت اسم "العاب الفيديو". ثم توظيف التقنيات الرقمية في الحاسوب لإعادة إنتاج قصص وحكايات تراثية أو حديثة، مع الاستفادة من هذه الإمكانات. وأخيرا توظيف الشاشة كصفحة ورقية."[4] ، وهذا التحول في المواضيع طبيعي جدا ويكاد يكون حلا لأزمة المحتوى مع أطفال هذا العصر، فلا يمكن للطفل أن يعيش في عالم مختزل في نقرة وأن يستكشف كل ما يريد بصوت حقيقي وصورة ثلاثية الأبعاد متحركة تكاد تكون مطابقة لما في الواقع، ثم يذهب لكتابه ليجد صورا ميتة شاحبة ونصوصا تحدّثه عن عصور خلت لا يمكنه الوصول بخياله إلى إمكانية وجودها أصلا.

وكاتب الطفل الفطن يجب أن يستغل هذه الإمكانات الحديثة العالية التقنية ليجذب الطفل ويشغله بما يقدمه له، "إن التكنولوجيات الحديثة، لم تظهر لتوفر المتعة والتسلية والترفيه فقط، وإنما هي حَمّالة لبرامج التعليم والتربية والتنمية والخلق والإبداع أيضا. والطفل الذي يحقق التوازن بين الترفيه والتعليم، يجني منها الكثير، الذي يعزز قدراته ويُحَسِّن مهاراته. ولكي نصل إلى هذه النتيجة الإيجابية: يجب على الأبوين أن ينظما علاقة الطفل بالتكنولوجيات، منذ البداية كي يتعود عليها، ويتحكم فيها."[5] صحيح أن الحديث عن الوسيط الرقمي أربك المشتغلين في حقل أدب الطفل لكن هذا لا يمنع من البحث عن بدائل تضمن الفائدة للطفل عوض الوسيط الورقي، فاللوح الذكي أو الهاتف الذكي هو إبدال للكتاب في شقه المادي، ولا يمكن غض النظر عن العلاقة التي تربط الطفل بهذه الوسائل، فالدور يتزايد للمسؤولين عن أطفال اليوم من أجل تحقيق وسطية استغلال لمختلف الوسائط المتوفرة في عصرنا هذا.

وهو ما تقول به هيئات رسمية أدركت خصوصية هذا العالم فانتهجت سبلا لتضمن حسن استغلاله، "ولمجاراة هذا العالم الإلكتروني، والثقافة الرقمية أو

الإلكترونية، وتكنولوجيا أدب الأطفال، طورت بعض المؤسسات والشركات إمكاناتها لتؤدي دورها في سوق هذه الثقافة، وذلك الأدب. ودخل بعض الناشرين الميدان مباشرة، دون أن يمروا بطور الثقافة التقليدية، أو الثقافة (الورقية)، وعلى سبيل المثال قامت إحدى الشركات بتقديم برنامج يحمل اسم "إسلاميات حاسوبية"، وقامت شركات أخرى بإنتاج برامج تحمل عناوين مثل: المكتبة الإلكترونية للطفل المسلم (يوم في حياة طفل مسلم) هرم المعلومات (مسابقات ثقافية للأعمار تحت 15 سنة) كان يا ما كان (أربع قصص إلكترونية للأطفال: الثعلب والغراب والجبنة، الثعلب وعنقود العنب، الكلب الطماع، النملة والجندب)... وغيرها الكثير."[6] وهي حلول عملية تضمن التحكم في المحتوى المقدم للطفل وتوجّه الصغار في هذا العالم المكتظ الذي ليس من السهل ضبط بوصلة فيه، فعقبة محتوى ما يُقدّم للطفل يمكن تخطيها بانتقاء ما يوافق جيل الإنترنت، وكاتب الطفل البارع هو الذي يفرض على الطفل خوض تجربة التعرف على واقعه من خلال هذه الحوامل مع ربطه بالسياق العام وسيرورة هذه العوالم.

2.3 عقبة الوسيط (الكتاب):

ذكرت في أول حديثي عن مشكل أدب الطفل مع الحامل الذي يتمرأى من خلاله وهو (الكتاب)، فليست كل الكتب الموجهة للطفل تستطيع جذبه وإقناعه، "يعد "الكتاب" أقدم الوسائط الثقافية وأهمها عند الطفل، فهو مصدر أساسي للمعرفة، ووسيلة للتسلية وقضاء وقت الفراغ، ويؤدي إلى التوافق النفسي مع قارئه (الطفل) ويساعد على التقدم الدراسي وإكساب الطفل فن الحياة، بل خبراتها والرموز المكتوبة التي يحتويها الكتاب تشكل شخصية الطفل القارئ، ذلك أن علاقة الطفل بالكتاب كوسيط ثقافي (معرفي وأدبي) لا تتشكل إلا من خلال الاستعداد القرائي للطفل."[7] هذه المكانة التي تبوأها الكتاب تحيلنا إلى أهمية الاعتناء به وضرورة الحرص على

إخراجه بأبهى صورة، وهو ما تعذّر تحقّقه في كثير من النماذج المتوفرة بالمكتبات، فالطفل ناقد ذكي بامتياز، هو يختار كتابه بدء بالعنوان والغلاف الخارجي، فتراه يقلّب الكتب ليجد ضالته الجمالية بالدرجة الأولى ثم يحكم على محتوى الكتاب بعد قراءته، إن الطفل كفيل بتقييم الأعمال الموجهة له، لكن الغاية التجارية التي شغلت الكثير من المشتغلين على عالم الطفل سواء ككتاب أو كناشرين جعلتهم يتجاهلون هذه الشروط ويسعون لمكاسب لا تفيد الطفل بشيء.

لعل مقترح الخروج من هذه الأزمة يتعلق أساسا بما يوفّره العالم الرقمي للطفل، فهناك بدائل في عالم التقنية وهو ما من شأنه التخفيف من حدة أزمة الحامل، "لأن أدب الأطفال لم يعد كتاباً، بل أن الكتاب نفسه، وهو المصدر الرئيسي لثقافة الأطفال وأهم وسيط من وسائطها، تراجع كثيراً أمام وسائل الاتصال الجبارة المهيمنة على عمليات تشكيل عقول الصغار والكبار، ثم لم يعد الكتاب هو الكتاب المعروف، لأن الكتاب اليوم هو الكتاب الإلكتروني بما يعنيه من تحديات أخرى للكتابة للأطفال،"[8]، فالتقنية استطاعت أن توفر للطفل ما كان ينشده من الوسيط الورقي، فأصبح من الممكن التعرف على الديناصور صوتا وصورة وحركة: ففي قصص الخيال العلمي الموجهة للأطفال نجد الديناصور يتحرك من مكان لآخر ويفترس ويهجم، ولم يعد طفل الصحراء محروما من سماع هدير البحر ومراقبة تقلبات أمواجه وتأمل بريق مياهه المنبعثة من انعكاس قرص الشمس الأصفر عليه، كما أن جودة الصوت والصورة ومقاربتها لنسختها الأصلية سحر الطفل وجعله يتنقل بين كل ما يُعرض عليه دون ملل، بل هو دائما يطلب الجديد والأجود.

3.3 عقبة الهدف (الغاية):

ينظر الكبار للصغار على أنهم لا يعرفون شيئا وهم بحاجة لملقن ومعلم يفك جهلهم ويعلّمهم ما يحتاجونه لمجابهة عالمهم، ويعتقد الكبير في أغلب الحالات

أنه مصدر المعرفة الأوحد بالنسبة للطفل، وهذا ما يجعل من غاية أدب الطفل محصورة في الشق التربوي، و"مهما يكن الأمر فإن أدب الأطفال العرب يعاني من ظاهرتي التركيز والإهمال، التركيز على قيم أو مجموعات قيم، وإهمال قيم ومجموعات أخرى. وسواء أكنا نعزو هاتين الظاهرتين إلى انطلاق الأدباء من خبراتهم الفردية ورؤاهم الذاتية المتباينة أم نعزوهما إلى تماهي أدب الأطفال بالبيئة التي يُنْتَج فيها وإخلاصه للقيم التي يدعو إليها نظام الحكم في دولته، فإن النتيجة التي أخلص إليها هي أن أدب الأطفال العربي ليس أدباً موحِّداً، لأنه يطرح قيماً لا تقود – على تفاوتها في التركيز والإهمال– إلى بناء شخصية قومية واحدة للأطفال العرب."[9] ، إن البعد الذي يُنتج من أجله الأدب الموجّه لأطفال العرب غائب في غالب الأعمال، فلا تصور واضح للبعد الذي يُنتج هذا النص من أجله، فكل كاتب يكتب ما يشاء ويقول من خلال أدبه ما يشاء ويعبّر عن مكنوناته ومبتغاه الخاص.

إن الغاية المرجوة من الأدب الموجّه للطفل العربي تكاد تكون واحدة فكلها تنشد تربيته وتهذيبه، فـ "لا تخرج قصة الطفل عن الحيّز التربوي مهما تكن مكانتها عالية في سُلَّم الفن. إذ إن المتعة والترفيه ضروريّان للطفل، ولكنهما وسيلة القصة لأداء وظيفتها التربوية. وعلى الرغم من أننا نعلي من مكانة الترفيه والتسلية، ونحرص عليهما حرصاً شديداً ونعي وظيفتهما التربوية في تنمية شخصية الطفل، فإننا نطالب في الوقت نفسه بوظيفة تربوية أخرى تؤديها فكرة القصة، أو مغزاها، أو القيمة الواردة فيها."[10] هذه النظرة السلبية للطفل العربي التي يتخللها تقزيم لإمكانياتها هو ما جعل الأدب الموجه له صغيرا فعلا، ولا يقدم له تجارب طريفة وعميقة فالطفل يتعلم ويكتسب خبراته وهو يلعب مع أقرانه، وهو ما يجب أن يتفطن له كتاب الطفل.

لا أريد في هذا المقام التركيز على المتن السوداوي لواقع أدب الطفل العربي فهناك هامش مضيء زاخر بما تنشده ذائقة الطفل، "والكتابة للطفل، سواء كانت تتخذ لها جنسا أدبيا خالصا، أو حقلا معرفيا، فإنَّها ترتكز على أسس خاصة، وأخرى عامة؛ فالأولى الخاصة، تتجَلّى في إلْمام الكاتب بالْمَراحل العمرية للطفل، وما تتميز به من خَصائصَ نفسية وفكرية ولغوية واجتماعية، وحتى جسمية. إذ على الكاتب الْمُتخصص أن يحدد أيَّ طفلٍ يقصد: هل طفلُ الْمَرْحلة الواقعية، ما قبل السادسة؟..أم طفلُ مرحلة الخيال الحر، من السادسة إلى التاسعة؟..أم طفلُ الواقعية الثانية، من التاسعة إلى الثانية عشرة؟..أم...والثانية العامة، تتجلّى في التزام الكاتب بترسيخ الْمَبادئ والقيم الإنسانية الْمُثلى؛ فالعدالة لابد أن تسود العالَمَ، والجانِي لا يفلت من العقاب، مهما كان قويا وذكيا."[11]، هذه الشروط العامة التي يسنّها المشتغلون الحقيقيون على أدب الطفل الذين خبروه تنظيرا وإبداعا، ولكن المشكل يكمن في المبدعين الذين يقبلون على أدب الطفل دون مرجعية، فيكتبون للطفل جملة دون احترام ولا تخصيص للمرحلة العمرية المنشودة، فما ينشده طفل المرحلة الأولى لا يرضي طفل المرحلة الثالثة لأنه تجاوز الكثير من الخبرات والمفاهيم. إن الكتابة للطفل مهمة خطيرة لأن ما يُكتب له قد يعتبر بالنسبة إليه دستورا تتأسس عليه شخصيته مستقبلا، فلا يمكن لهذه الكتابة أن تؤخذ باستسهال وتكلف، فـ "الكتابة (تذكي النار) ولا(تملأ الكأس) كما قال(ألفرد اكلبير).. الكتابة تحفز الطفل على التفكير والتساؤل، على الرحيل إلى الأبعد، الابتكار، الاقتراب من ذاتية الأشياء.. الكتابة تحمل إلى الطفل منظومة من القيم السامية، تحدد سلوكه في محيطه الاجتماعي، فإذا كانت هذه القيم تقليدية، فإنها – يقول وليام أوكبورن– تحول دون عملية التطور الاجتماعي، الناجمة عن الأدوات التكنولوجية الحديثة، وهذه الحالة طبيعية، وسنة حياتية، لا تكاد تخلو بيئة –قديما أو حديثا– من صراعات محتدمة،

بين جيل يمضي وجيل يأتي، يسعى إلى تحديث الفكر وتطوير الابتكار."[12] فالعقبات التي سلف الحديث عنها سواء المتعلقة بالشكل أو المضمون أو الغاية المنشودة سيتمكن أدب الطفل العربي من تجاوزها بمجرد وعي كاتب الطفل بهذه المهمة وثقل المسؤولية في الكتابة للطفل.

4.3 عقبة المد الرقمي:

رأينا مع العقبات السابقة مخارج وفتوحات مع المد الرقمي حيث أن الوسيط الورقي أضحى متعثرا في إيصال الطفل لما يريده من متعة وجمال، ومن الواجب النظر إليه من زوايا مختلفة؛ فـ "لقد أحدثت الثورة الرقمية انقلابا عميقا في ثقافة الطفل وخاصة على مستوى النص المرئي الذي اختفى معه النص اللغوي المكتوب الذي يستوجب القارئ الطفل لكي يتلقى المحمول المعرفي اللغوي، وعوض طريقة التلقي التقليدية بما هو أسهل وأسرع، ضمن نموذج عالمي وبطرق رقمية مفتوحة أمام جميع الأطفال ودون اعتبار للغة المحلية أو خصائص التربية الخاصة بكل مجتمع، وبذلك تمت عولمة المعرفة وعولمة النص الأدبي الموجه للأطفال."[13]، رغم الفتح الذي جاء به المد الرقمي إلا أن هناك خطورة يجب الانتباه إليها وتتمثل في التهديد الذي يشكله هذا الشكل الجديد على ما كُتب عبر أعوام خلت، وهو ما يجعل من التدفق الرقمي عقبة أمام أدب الطفل في شكله التقليدي المتعارف عليه عبر الحامل الورقي.

ورغم أننا أمام حتمية رقمية لم تترك لنا خيارا في تقبل هذا التمظهر الجديد من عدمه، إلا أن الأطفال لا يرون خطرا في كل هذا بل إنهم يجدون في العالم الرقمي حاجتهم للاكتشاف والمغامرة والتجربة، ويمكن البحث في علاقة الأدب بالتكنولوجيا أو الرقمية، فقد ظهر الأدب الموجه للطفل بشكل جديد متمثلا فيما تقدمه المنتديات والمواقع وما ينتجه المشتغلون الرقميون في أدب الطفل عبر اليوتيوب من

فيديوهات منتجة خصّيصا للطفل، وصار من الضروري الاجتهاد لتعريف أدب الطفل في ظل الحامل الرقمي؛ "يقترح الكاتب تعريفا لأدب الطفل يتوافق والمعطى التقني الجديد: "هو كل نص يتشكل بحسب معطيات التقنية الرقمية، بتوظيف اللغة الرقمية والبرامج المتاحة داخل جهاز الكمبيوتر، بحيث يتضمن "الصورة– الصوت– اللون– الحركة– الكلمة"، في تشكيل فني، يساعد الطفل على نمو الذوق والشخصية، ويتوافق مع احتياجات عالم الطفل الشعورية والمعرفية"."[14] ، فهناك استغلال أساسي لمعطيات التكنولوجيا في إنتاج أدب للطفل يتواءم وذائقته ويثوّر خياله.

ومن أهم مظاهر أدب الطفل في العالم الرقمي ما أُنتج من ألعاب فيديو وألعاب إلكترونية مكّنته من التمكن من العالم الرقمي وأبجديته الجديدة فكانت مقدمة لإنتاج أعمال أدبية توظّف ذات البرامج والتقنيات المعتمدة في الألعاب الإلكترونية، ولهذا لم يجد الطفل عائقا في الاشتغال على نصوص رقمية مقترحة عليه عكس الكبار الذين صنعت لهم الحقبة الورقية ثقافتهم وسلوكاتهم، ورغم الأصوات الرافضة لتدفق الرقمية في أدب الطفل إلا أنها بدأت تخفت شيئا فشيئا للإقبال الكبير لأطفالنا على العالم الرقمي والنهل منه، ربما لم يستعد الكبار بعد لإعلان استقلال أطفالهم عنهم، لكن المسؤولية تزيد ولا تنعدم ودور الكبار سيصبح أكبر وضروي جدا، ولا يمكن اعتبار المد الرقمي عقبة بقدر ما يجب اعتباره وسيطا جديدا يتوافق والعصر الذي ننتمي إليه.

5.3 عقبة غياب النقد المتخصص:

عانى أدب الطفل العربي من غياب النقد الأدبي عنه طيلة سنوات خلت، وهو ما جعله عالما تشوبه الفوضى والضبابية تعلو واجهته، لكن صار من الضروري حث النقاد للنهوض بهذا الأدب وتحديد الثغرات التي تفسد مشهده وتكسر نجاحه وتقدّمه، إن غياب النقد جعل أدب الطفل عرضة للمتطفلين من الكتاب والدارسين،

فتعثّرت اللغة التي يُكتب بها ولم تعد لها قوانين واضحة، "إن اللغة هي الوعاء الرمزي للتفكير الابتكاري، والوسيلة التي يتجسّد بها هذا التفكير في شكل أدبي محسوس. وعلى الرغم من أهميّتها الكبيرة في الإبداع فإن غالبية الدراسات أهملتها وكأنها ثانوية. ومن المفيد ألا نكرّر هذا الخطأ، وأن نصرف الوقت والجهد في تشكيل الخبرة اللغوية لدى الطفل الموهوب لإعداده لمرحلة الإنتاج الإبداعي في مراحل حياته اللاحقة."[15] ورغم أن اللغة تتصدر شروط الكتابة للطفل، وتتحدد مع كل مرحلة مستهدفة في الكتابة، إلا أنها تميزت بالكثير من الصفات غير الوظيفية، فجاءت بعيدة عن الطفل متعالية عليه عصية على مستواه اللغوي.

حين يلعب النقد الأدبي دوره في أدب الطفل فسيتخلص هذا الأخير من الكثير من الإشكالات التي تعترضه؛ "يحتاج أدب الأطفال إلى علاج لمشكلات القراءة والترجمة واللغة، لأن هذه المشكلات تفعل فعلها في الطفل العربي، فتقلّل من فرص إتقانه مهارة القراءة، أو تجعله، في حال صلاحية الكتاب وتوافره بين يديه، يقرأ نصوصاً تغرس فيه قيماً مغايرة لقيم الأمة العربية الإسلامية، إضافة إلى تأثُّر لغته الفصيحة بالإعلام، وسيادة العامية في الخطاب الموجَّه إليه."[16] ، ولنا أن نجد في الكتابة الرقمية للطفل بعض العزاء، فالنقد يُمارس من لدن كل المتلقين، فالقارئ الصغير يستطيع ان يعبر عن رأيه ورفضه لنوع من الكتابة، وحتى الإقبال الذي يمكن قياسه في العالم الرقمي على عمل دون آخر يُعتبر في حد ذاته نقدا، فالجيد يضمن إقبال الصغار عليه أما الذي لا يستجيب لمتطلباتهم الطفولية فسيظل بعيدا عنهم كل البعد.

4.نتائج:

في نهاية عرضي لهذه العقبات يجب الوقوف على بعض الملاحظات، فكل عقبة من هذه العقبات التي تعلقت بالمقام الأول بأدب الطفل في صورته المتعارف

عليها أي عبر الوسيط الورقي، ووجدت لها مخرجا عبر الحامل الرقمي نظرا لتعدد إمكانياته ومرونته في يد الطفل الصغير النهم المتطلب، ولكن هذا العرض بيّن أهمية التخطيط لمستقبل عربي رقمي والذي سيقبل عليه الأطفال بصورة سلسة ودون مشاكل؛ "ولعل من أهم برامج هذا التخطيط، الاهتمام بالطفل قبل كل شيء، من خلال منظومة تعليمية وتربوية تعتمد منطق التفاعل في التكوين والتعليم، مع ضرورة اهتمام المشتغلين بالأدب، وبالأخص بأدب الطفل، بالكتابة الأدبية التفاعلية الموجهة إلى الطفل. تسمح الكتابة التفاعلية للطفل/اليافع بالتدرب في سن مبكرة، على مواجهة الخيارات المتعددة والمتنوعة، وأخذ مبادرة الاختيار، وإعادة بناء الحكاية باللون أو اللغة أو الصورة أو الأشكال. يخرج الطفل من تجربة هذا التفاعل بإمكانيات مع تطورها، تُصبح خاصية تميز شخصيته"[17]، وهو ما يجب أن تتصدى له هيئات ومؤسسا رسمية ليكون غد أدب الطفل العربي أجمل مع الوسيط الرقمي والعالم الرقمي ومع جيل مختلف تماما يوصف بأنه (جيل الإنترنت) ورواد (حضارة النقرة). وأُجمل هذه الملاحظات في النتائج التالية:

*- العقبات التي تعترض مسار أدب الطفل العربي تؤكد على المجهودات المبذولة من طرف المشتغلين عليه إبداعا ونقدا في سبيل تجاوزها، وتبقى هذه الجهود غير فعالة لأن أغلبها فردية متفرقة في أقطار عربية مختلفة.

*- يشترك الوسيطان الورقي والرقمي في بعض العقبات التي تتعلق أساسا ببنية أدب الطفل وخصائصه الواجب انفراده بها دون أدب الكبار، فالمحتوى والنقد المتخصص تعبّر عن أهم إشكالات هذا الأدب الموجه للصغار عبر الحوامل المختلفة.

*- تعتبر عقبة المد الرقمي رافدا من روافد الانفتاح الإبداعي فيه، لكن عزوف أدباء الأطفال عن استغلال إمكانات هذا الوسيط واستثمارها فيه هو الذي يساهم في تلك الهوة السحيقة بين أدب الطفل وولوجه عالم الرقمنة والتقنية.

5. خاتمة:

إن هذه العقبات التي يعرفها أدب الطفل العربي هي التي جعلته منحصرا في زاوية وجعلت الأطفال ينفرون منه، فما تعلق بالحامل الورقي يظل المحتوى والجانب الإخراجي وحتى الهدف المنشود منه غائما وضبابيا مما يجعل الأدب الورقي غير جذاب للأطفال، أما الحامل الرقمي المعبّر عن روح العصر الرقمي والمناسب جدا لأطفال جيل الإنترنت يظل غير جذاب -هو الآخر- ولكن بالنسبة لمبدعي الأطفال الذين يكتفون به حاضنا سلبيا لهذا الأدب من خلال النسخة الإلكترونية المعبرة عن نصوصهم الورقية، ولكن المقترح الذي يجب أن أؤكد عليه حقيقة في ختام هذه الدراسة هو ضرورة استثمار الوسيط الرقمي لأن أطفال هذا العصر ينزعون إليه بشكل لافت، ولا يمكن بشكل من الأشكال عزلهم عنه، كما أن عقبة غياب النقد المتخصص تستوجب منا وقفة رصينة واعية لمنح هذا النوع من النقد فرصة لتمحيص ما يُبدع لأطفالنا سواء من حيث المحتوى أو الفنيات.

6.المراجع:

[1]- عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 2، 1988، ص 7.

[2]- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، 1411هـ-1991م، ص 279.

[3]- عبد الله أبو هيف: التنمية الثقافية للطفل العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 27.

[4]- السيد نجم: التقنية الرقمية الإنترنت ودورها في أدب الأطفال، عبر الرابط:

http://aljasra.org/archive/cms/?p=2143

[5]– العربي بنجلون: ثقافة الطفل، قيم فنية.. ومبادئُ إنسانية، منشورات وزارة الثقافة المغربية، ص 35.

[6]– أحمد فضل شبلول: التقنيات الرقميَّة وتحقيقها لغايات أدب الأطفال الإسلامي دراسة وتقويم لعدد من النماذج، مقال متوفر عبر الرابط:

www.adabislami.org/magazine/2011/02/158/20

[7]– أحمد زلط: أدب الطفولة، أصوله واتجاهاته وسائطه ونماذجه، دار النشر الدولي، ط 1، 2008، ص 91.

[8]– عبد الله أبو هيف: التنمية الثقافية للطفل العربي، ص 11.

[9]– سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، دراسة، من منشورات اتحاد كتاب الانترنت العرب، ص 13.

[10]– المرجع نفسه، ص 53.

[11]– العربي بنجلون: ثقافة الطفل، ص 7.

[12]– المرجع نفسه، ص 26.

[13]– عميش عبد القادر: شعرية تلقي الصورة الرقمية في قصة الطفل، متوفر عبرا الرابط:

www.amicheabdelkader.com/index.php?option=com

[14]– السيد نجم: التقنية الرقمية الانترنت ودورها في أدب الطفل.

[15]– سمر روحي الفيصل: أدب الأطفال وثقافتهم، ص 34.

[16]– المرجع نفسه، ص 70.

[17]– زهور كرام: التربية على ثقافة التفاعل.. أدب الأطفال، متوفر عبر الرابط:

https://www.alquds.co.uk/?p=741881&utmi